حكايات ألف ليلة
28

حكاية البطة والطاووس



بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ. إسماعيل دياب
إشراف : أ. حمدى مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

وَيُحْكَى أَنَّ الطَّاووسَ ؛ وزوجته لمَّا سمعا من الْبطَّةِ حكايةَ ابنِ آدمَ ، وكيفَ احتالَ على الأسدِ ، حتَّى أوقع به صيْدًا سهْلاً تعجَبا غايةَ التعجب من مَكْرِ ابنِ آدمَ ودهائه وحيله وخداعه .. وقالتْ الطَّاووسةُ للبطَّة ، حتى تُهدِّئ من روعِها :

ـ يا أختى أنت الآنَ هُنا آمنةٌ ، لأنَّنا فى جزيرةٍ لا يَصلُ إليها بنو آدمْ .. منَ الأفْضَلِ لك أنْ تُقيمى عندَنا حتَّى يُسهِّلَ اللَّهُ أَمْرَكِ وأَمْرَنا .. فَقالتْ البطَّةُ متخوِّفةً :

ـ أخافُ أنْ يُغافلنى ابنُ آدمَ ، فيصيْدُنى كَمَا صَادَ الأسدَ .. وقالَ الطَّاووسُ :

ـ امْكُثى عنْدنا ، وما يجرى لك سَوفَ يجرى لنا .. إنْ كانَ قدْ كُتبَ علَيْنا شئ سوفَ نستوفيه ، وإنْ كانَ أجَلُنا دنا فمَنْ يُخلِّصُنا منه ؟ ولن تموتَ نفْسٌ حتَّى تستوفى رزْقَها وأجَلَها ..

ومَا زَالَ الطَّاووسُ والطَّاووسةُ يُزينان للبطَّة فكْرةَ البقاءِ فى الجزيرةِ ، حتَّى اقتنعتْ بالبَقاءِ معَهُما ..



وبينما الثلاثةُ مشغولون بالحديثِ طار الغُبارُ وثار ، وكأنَّ زوبعةً آتيةٌ ، فصاحتِ البطَّة ونزلتْ إلى الماءِ ، ثمَّ قالت :

ـ الحذَرَ الحذرَ ، برغم أنَّ الحذرَ لا يُغنِي من القدر ..

وبعد قليلٍ هدأ الغُبارُ ، وظهر ظبيٌ يجري مُسرعًا ، فاطْمأنَّ الثلاثةُ وقالَ الطَّاووسُ :

ـ إنَّ الذي تفزَعانِ منهُ ظَبْيٌ ، وها هو قادمٌ نحوَنا ..

وقالَت الطَّاووسةُ :

ـ لا خوفٌ علينا من الظَّبي لأنَّهُ نباتي يأكلُ العُشْبَ مثلَنا ..

وَصَلَ الظَّبى إليهم فحياهم وسلَّم عليهم ، فلما رأى الثلاثة تودُّد الظَّبى إليهم ؛ ورغبته فى مصاحبتهم والبقاء معهم رحَّبوا به ..

وهكذا عاش الأربعة على الجزيرة كأخوة وأصدقاء ، فصار مأكلهم ومبيتهم واحداً ، وصاروا لا يفترقون أبداً ، وكان كل منهم يخاف على الآخرين ..

هكذا عاش الأربعة فى أمان واطمئنان ونسوا أو تناسوا أمر ابن آدم تماماً ، حتى كان ذات يوم ومرت سفينة بالبحر ، ثم رست على شاطئ الجزيرة ، ونزل رُكَّابها إلى الجزيرة ، فرأوا الظَّبى ؛ والبطَّة ؛ والطَّاووس ؛ والطَّاووسة مجتمعين ، وتوجهوا إليهم لصيدهم ، فأسرع الظَّبى بالفرار وطار الطَّاووس والطاووسة فى الجو ، أمَّا البطَّة فقد أصيبت بالذُّعر لدى رؤية ابن آدم ، ولم تستطع حراكاً ، فوقعت صيداً سهلاً فى أيدى رُكَّاب السفينة ، وقالت فى نفسها :

ـ لم ينفعنى الحذر من القضاء والقدر ..

ولمَّا رأى الطَّاووس والطَّاووسة ما حدث للبطَّة حزنا حزناً شديداً وقررا الرَّحيل عن الجزيرة ، وقال الطَّاووس :



ـ لا أرَى الآفاقَ إلاَّ مراصدَ لنا .. لولا ابنُ آدمَ ما حَصَلَ بيْنَنا
بينَ هذه البطَّة افْتراقٌ ..

وقالت الطَّاوسةُ ؛ وهى تبْكى حُزْنًا علَى فِراقِ البطَّة :

ـ الوَداعُ يا أعزَّ أَصْدِقَائى ..

وطارَ الطَّاووسُ والطَّاووسَةُ حتَّى وَصلا إلى الظَّبىِّ ليُودِّعاه

الوداعَ الأخيرَ قَبلَ الرَّحيلِ عنِ الجزيرةِ ، وحَاولَ الظَّبيُ أنْ يُثْنيَهما عَنِ الرَّحيل فقَالتْ الطاووسةُ :

ـ لقَدْ أَخذَ العَدو صَديقتنا البَطَّةَ ، ولا خَيْرَ فى البَقاءِ هُنَا بَعدَها ..

فَلمَّا سَمعَ الظَّبيُ ذلكَ حزنَ حزنًا شَديدًا وبَذلَ أَقْصَى ما فى وسعه ؛ حتَّى وافقا عَلَى الْبقَاءِ معَهُ فى الْجزيرَة ، فَقَال لهما :

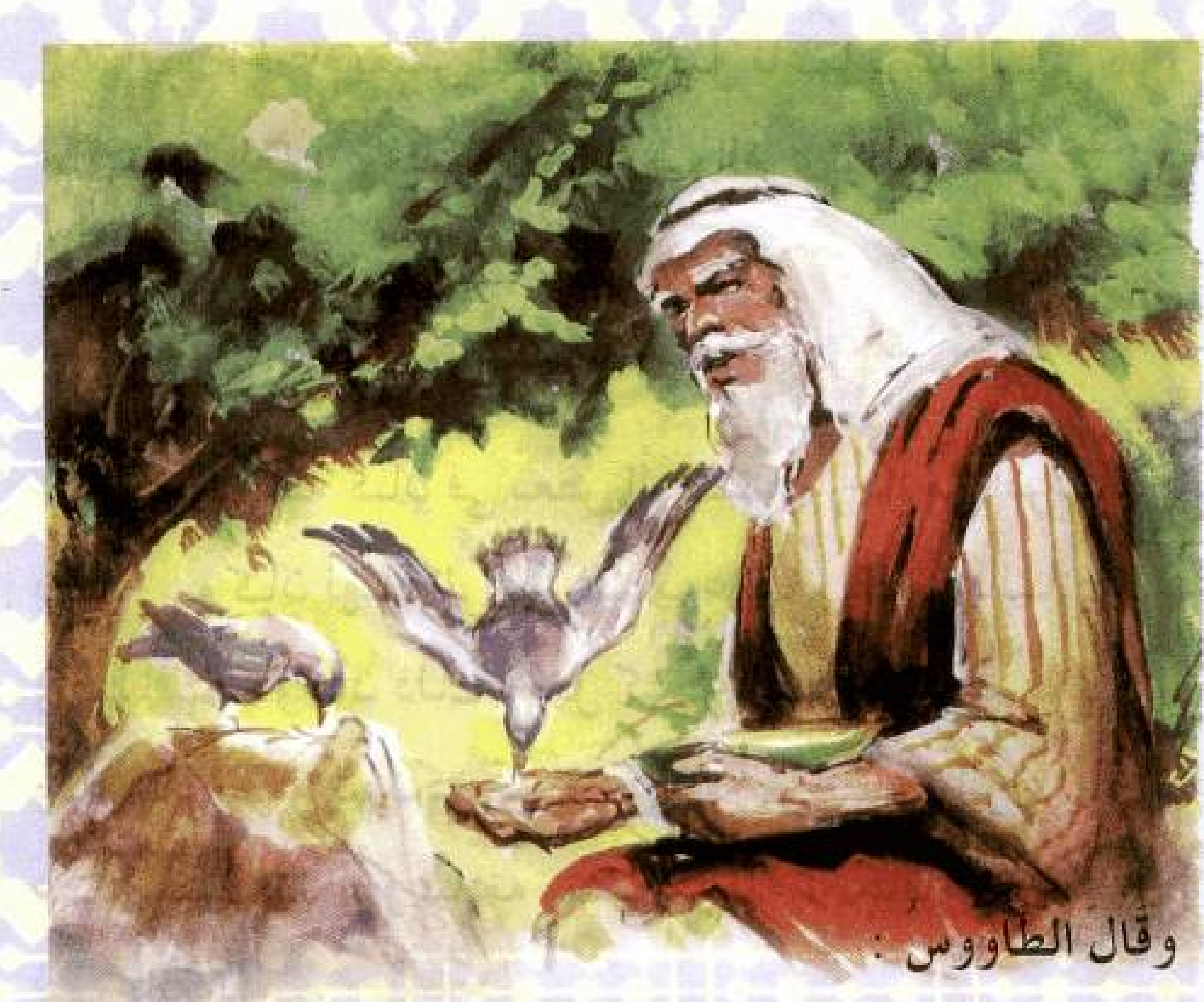
ـ لَقَد كَانَ النَّاسُ الذينَ جاءُوا فى المركَبِ سَبَبًا لِهَلاكِ البطَّة ولَذلك يجبُ أنْ نحذَرهم ..

فقَالتْ الطَّاووسَةُ فى أَسف :

ـ إنَّ الذى أهلَكَ صَديقتنا البَطَّةَ هُوَ تركُها التَّسبيحَ لله تعَالى ، لأنَّ كلَّ مَا خَلقَه اللَّهُ تعالى يُسبِّحه ، فإن غَفلَ المخْلوقُ عَنْ تَسْبيح خالقه لا يكُونُ فى رعَايته .. فَسُبْحانَ اللَّهِ الدَّيانِ ذى الجبَروتِ والسُّلْطَانِ ..

وقالَ الظَّبىُ :

ـ صَدقْتِ يا أختاه .. ما قتلَ البطَّةَ غيرُ تركِها التَّسْبيحِ ..



وقال الطاووس :

ـ يُحْكَى أنَّ أَحَدَ الصَّالحين كانَ يَتعبَّدُ فى أحَدِ الجبالِ ، كَانَ يأوى إلى ذلك الجَبلِ زوجٌ من الحمامِ ، وكانَ ذلكَ عابدُ يُقسِّمُ طعامَه نصْفَيْن ، فيأكلُ النصفَ ويُطعمُ زوجَ حَمامِ النصْفَ الآخر .. وقد دعَا ذلك العابدُ للحمامِ بالبركة كثْرةِ النَّسْلِ ، فكثر نَسْلُهُ حتَّى مَلأَ الجبل ، وكانَ سَببُ جتماعِ الحمامِ بالعَابدِ واهتمامِ العَابدِ به هو كَثْرةُ التسْبيحِ ..

ولم يَزَلْ الحمامُ يَعيشُ فى ذلك الجبل ناعما بِرَغَدِ العَيشِ ، حتَّى مات العابدُ ، فَتَفرق الحَمَامُ فى القُرَى والمُدنِ حتَّى مَلأ الدُّنيا ..

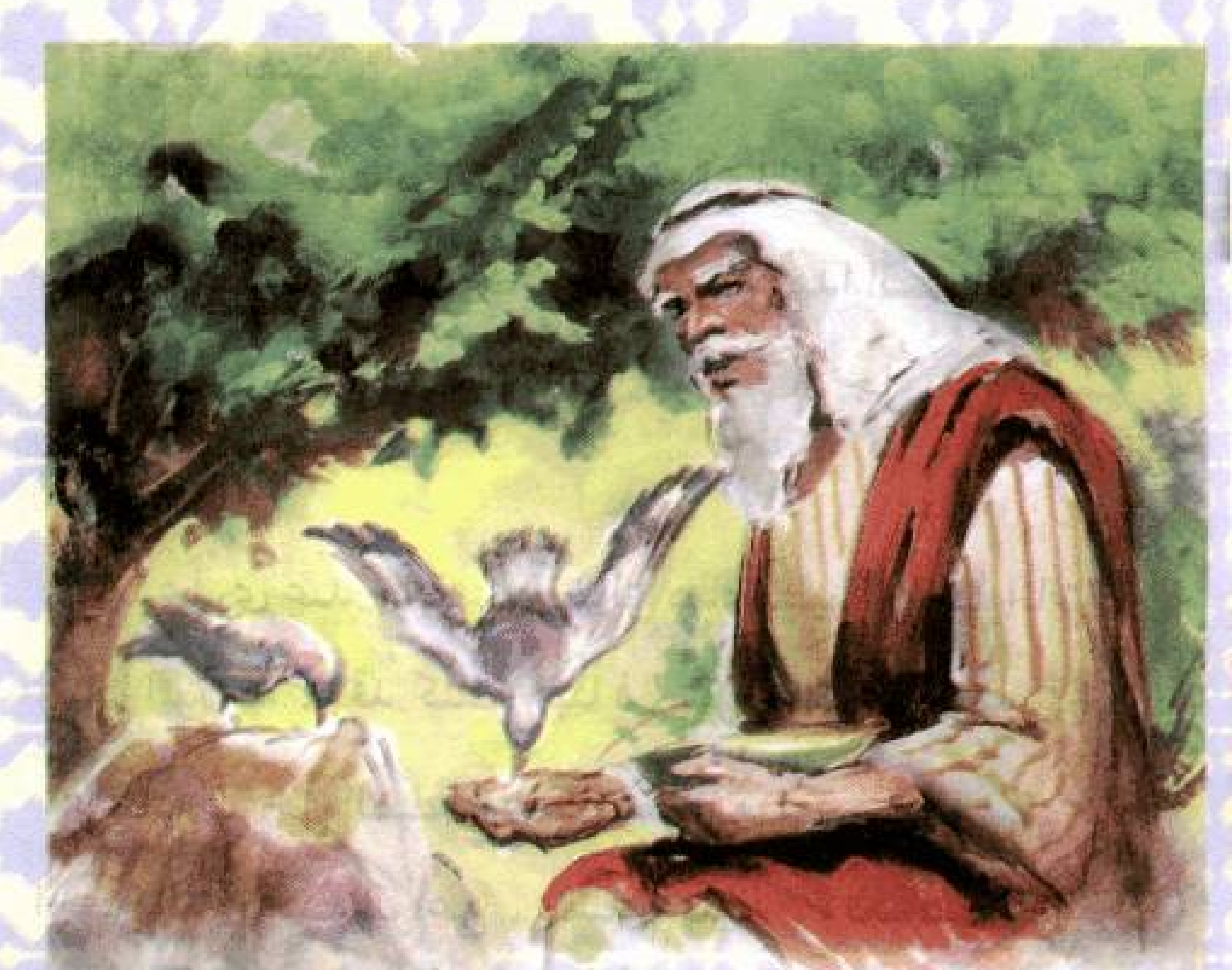
وقَالَتْ الطَّاووسَةُ :

ـ وَيُحْكَى أنَّه كَانَ فى بَعْضِ الْجِبَالِ رجُلٌ من الرُّعاةِ صالِحٌ ، وكانَ لهذَا الرَّاعى غنمٌ يَرعَاها وَيَنْتفعُ بِألْبَانِها وأصْوَافِها ، وكانَ ذلكَ الجبَلُ كثيرَ المَراعى والسباعِ ، ولكنَّ الوحُوش لمْ تكنْ تجرُؤ على الاقْتراب منَ الرَّاعى أوْ غَنَمه بسَبَبِ تَقْواهُ وَعِبَادَتِه وتَسْبيحه للّه ، فكانَ هُوَ وغَنَمُه فى رعَايَة اللّه ..

وكَانَ بالْقُرب من الرَّاعِى قريَةٌ يعيش فيها رَجُلٌ صَالِحٌ لمْ يَكنْ أحَدٌ يعلَمُ بِمكانه ولا طَاعَته وتقْواه ..

وذَاتُ ليلة رأى ذلك الرَّجُل فى منامه كأنَّ هاتفًا يَقُولُ لَهُ :

فى هذا الجبَلِ القَريبِ يُوجَدُ رَاعٍ صَالحٍ فَاذْهَبْ إليْه وكُنْ تَحْتَ طَاعَته ..



فلمَّا أَصْبَحَ الصَباحُ غادَرَ الرَّجُلُ الصالحُ قَرْيَته
مُتَّخذًا طَريقَه إلى الجَبَلِ للقاءِ الرَّاعى الصَّالحِ ، فلمَّا اشْتَدَّ عليه
الحرُّ توجَّه إلى شجرةٍ عندها عَينُ ماءٍ جاريةٍ ، ليَستريحَ تحتَها ..

وأثْناءَ جلوسِه جاءتْ الوحُوشُ والطيورُ إلى عينِ الْماءِ
لتَشْرَبَ منْها كَعادَتَها ، فلما رَأوا الرَّجُلَ الصالحَ جالسًا تحتَ
الشَّجرةِ خافوا ورَجَعُوا دُونَ أنْ يَشْرَبوا ، فتأثْرَ الرَّجُلُ الصالحُ

وقالَ فِي نَفْسِهِ :

لقَدِ اسْتَرحْتُ هُنا كي أتعبَ هذه المخلوقاتِ البائسةَ وأَقْتلُها عطَشًا .. لَقدْ كانَ جلُوسِي في هذا الْمكانِ سببًا في الإِضْرارِ بهذِهِ الْمخْلوقَاتِ .. وأخَذَ الرجلُ يلومُ نفسه قائلاً :

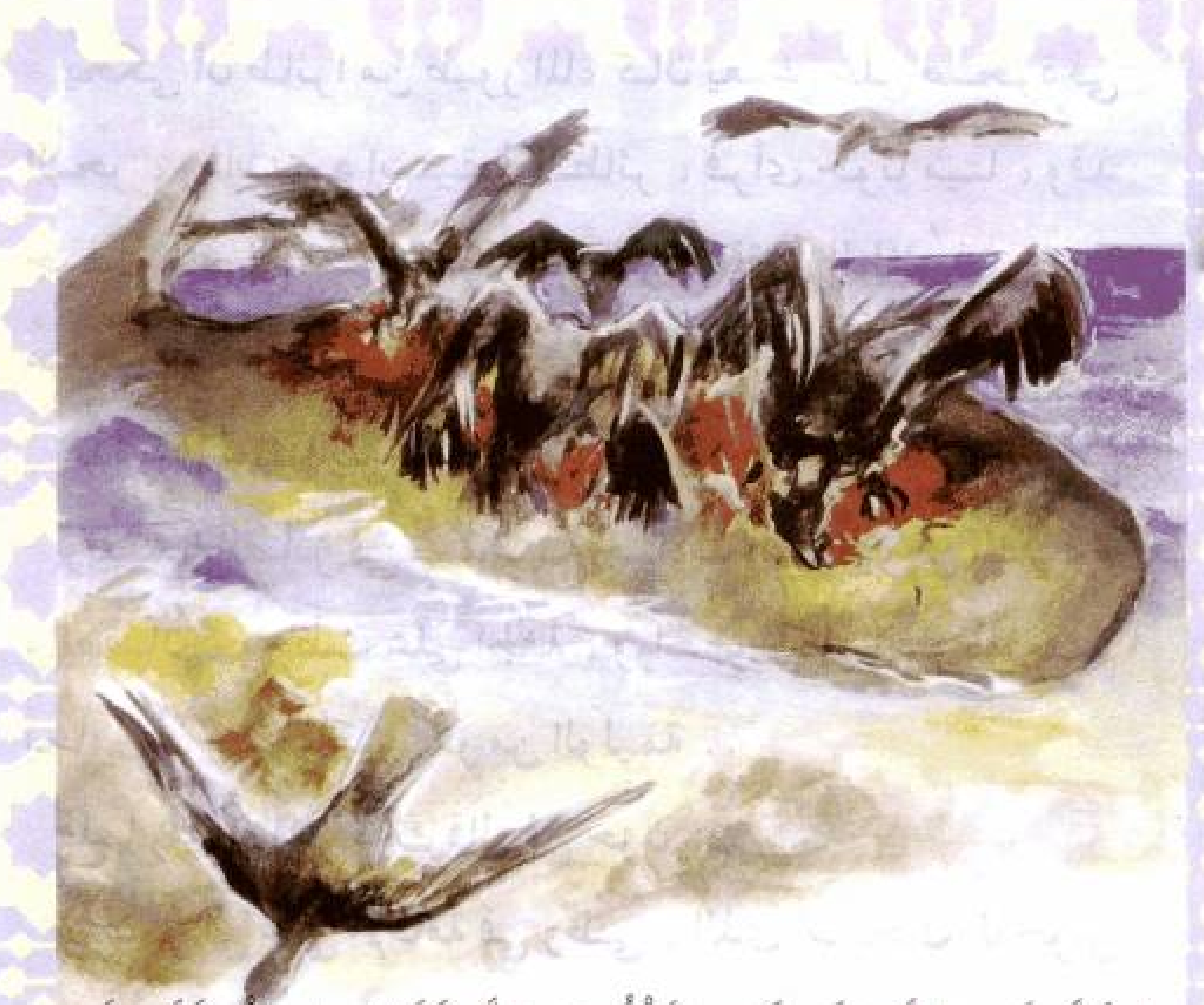
ـ ما عُذْرِي عندَ خالقِي ، وخالقِ هذه الطُّيور والحَيوانَاتِ ، وماذَا أقُولُ لهُ ، وقدْ كنْتُ سببًا في شرُودهم عنْ الْماءِ ؟!

وغَادرَ الرَّجُلُ الصَّالحُ المكانَ سَريعًا ، حتى وصلَ إلى الجبَلِ الذِي فيهِ الرَّاعِي ، فسلمَّ علَيهِ ، وتعَجَّبَ الرَّاعِي قَائلاً :

ـ ما الَّذِي جَاءَ بِكَ إلى هَذا المكانِ الذِّي لَمْ يَدخلْه أحَدٌ مِن النّاسِ قبلَكَ ؟!

فقَالَ الرَّجلُ الصَالحُ :

ـ لقَدْ رَأيتُ في مَنامِي من يصِفُ لي مكَانَكَ ، ويأمُرنِي بالقُدُومِ إليْكَ ، حتَّى أكونَ في طاعتِكَ وخِدْمتِكَ .



فرَحَّبَ به الرَّاعِيَ وعَاشا يَعْبُدان اللَّه تَعَالى فِي الْجَبَل إلَى آخِرِ يومٍ فِي حَيَاتِهِما .. ولمَّا انْتَهتِ الطَّاوُوسَةُ مِن حكايَتِها قالَ الظَّبْيُ :

ـ سوفَ أحْكي لكم حكايَةَ تدُلُّ على أنَّ الحذَرَ لا يُغنِي عنِ القَدَرِ ، حتَّى ترْتاحا وتَعْلَما أنَّ البَطَّةَ لَمْ يُغْنِ عَنْها حذَرُها وتَرْكُها وطَنَها مِنْ قدَرِها ..

يُحْكَى أنَّ طائرًا من طيورِ الماء كانَ يعيشُ على صخرةٍ فى البَحْرِ ، وذاتُ يومٍ استيقَظَ الْطائر ، فرأى حُوتًا ميِّتًا ، وقد جَرفتِ الأمواجُ جُثَّته بِجِوارِ الصَّخرة ، فقال الطائرُ فى نفسه متعجِّبًا :

هذا رِزْقٌ ساقه اللَّهُ تعالى إلىَّ ..

وبيْنما الطائر فى تعجبه جاءت أسراب مِن النسور والعُقْبان ، وحَطَّت على الجُثَّة ، وراحت تأكلُها ، وكلٌّ منهم يُحاوِلُ أنْ يَفوز بأكبرِ قَدْرٍ من الولَيمة ..

فلمَّا رَأى الطَّائرُ ذلكَ قالَ فى حزنٍ :

لا صَبْرَ لى علَى الإقامة فِى وَطَنِى ، الذى أصبَحْت الوحُوشُ تتصارعُ فيه علَى جيفَة ، وأنَا الذى كنتُ أظُنَّها رزقًا سَاقَه اللَّه تعالى إلىَّ .. لابُد أنْ أرْحَلَ عن هذا الْمكان قَبلَ أنْ أقعَ فَريسة سهْلَة فى يَدِ الأعداء ..

وطَارَ طائِرُ الْماءِ بَعيداً عنْ وطَنه ، وأَخَذ يُفتِّشُ عَن مكَانٍ يَأوِى إلَيْه ، فوَجد شجَرةً وسَطَ نهْر ، فحطَّ عليها ، وجلَس يُفكِّر فى حَالِه حَزينًا ..



وبينَما الطَّائرُ شاردٌ في أفْكارِه ظَهر أحدُ السَّلاحف سابحًا فَوقَ سطحْ الماء ، فلمَّا رأى الطَّائرَ فَوقَ الشجرة اقْتَرَبَ منْه وسلَّمَ علَيه ، ثمَّ قالَ :

ـ أيُّها الطائرُ ، أراكَ غَريْبًا عَنْ مَوْطنك ، فما الَّذى أبْعَدَك عَنْ وَطَنك ، ولماذا تَجْلس هكَذا حَزينًا ؟!

فَقالَ الطَّائرُ :

ـ لَقد حَلَّ الأعْداءُ بوطَنى ، ولا صَبْر للعَاقلِ على مُجَاورَة عدوّه ..

فتأثَّرَ السُّلحفُ مِنْ كلامه ، وقَالَ :

ـ إذَا كانَ الأمرُ كَمَا ذكرته والحَالُ كما وصَفْتَه يا أخى ، فأنَا مَعَكَ ، ويُسْعدُنى أنْ أكونَ رفيقَكَ وصديقَكَ ، وأنا أَعدُكَ أننى لن أُفَارقَكَ أبدًا ، حتَّى أُزيلَ الهمَّ والحُزْنَ عنك ، فَلا وحْشَةَ أَشدُّ من وحْشَةِ الغريبِ الْمفارِقِ لأهْله ومالَه . .

فلَمَّا سَمِعَ الطَّائرُ ذلِك الكلام من السُّلَحْفَ شكره ، وقَالَ لَهُ :

ـ صَدقْتَ يا أخى فى قولِك هذا . . لقَدْ وجَدتُ للفراق ألمًا شَديدًا ، مُنْذُ بَعدتُ عنْ مكَانى ، وفارَقْتُ أهلى وإخْوانى . . إنَّ فى الفراق عبْرَةً لمنْ عتبَر ، وفكْرِ لمَنْ تَفكَّر ، ولَيْسَ مِن الخَيرأنْ ينقَطعَ المرءُ عَن أَهْله وإِخْوَانه ، وأصحَابه وخلاَّنه . .

فَتَأثَّرَ السُّلَحْفُ من كلامِ الطَّائرِ وقَالَ لهُ :

ـ إيَّاكَ يا أخى من اليَأسِ وقِلة الصَّبْرِ ، لأنَّ ذلكَ يُفْسِد علَيْكَ عيْشَكَ ؛ ويُكدِّرُ صفو حياتك . .



وَلم يَزَل السُّلَحْفُ يسكِّنُ من رَوعِ الطَّائِر ويُطَيِّب خاطِره ، حتَّى اطْمَأَنَّ وطَارَ عَائِدًا إلَى وَطَنه . .

وكَمْ كَانَت دهْشَتُه حينَما حطَّ علَى الصخرةِ ، فلَمْ يَجِد أحدًا من سِبَاعِ الطَّير ، ولَم يجِدْ من جثَّة الحُوتِ سِوى بعْضِ العظامِ الْمُتناثرةِ . . فتعجَّبَ مِن ذلك ، فطار راجِعًا إلى صديقه السُّلَحْف ، فأخبره بِمَا رأى وقَال :

ـ لَقدْ زَالَ العدُو ، وقد جئتُ أَسْتأذنُك يا أخي في العَوْدة إلى وَطَني ، لأنَّه لا صبرَ للعاقِلِ على مُفارَقَة وَطنه وإِخْوانه ..

فقالَ السُّلَحفُ :

ـ لقَد صرتَ صَديقي ، ولا أسْتَطيعُ الاستِغْنَاء عَنْ مُلازمَتك ، ولهذا فَأنا أَرْجو أنْ أَذْهَبَ مَعَك ..

فقالَ الطائر :

ـ يُسْعدُني ذَلك يا أخي ..

وهكذا عَادَ الطائرُ إلى وطَنه وفي صُحبَته صَديقُه السُّلَحْفُ ، ولَمْ يجدا هناك ما يخافَان منْه ، فَعَاشَا ينْعمانِ بالسَّعادة والأمَانِ فتْرةً مِنَ الزَّمَن ..

ومِنْ عجائبِ الأقدارِ أنَّ صَقراً جائعاً جاء يوْماً إلى الصَّخْرةِ يَبْحثُ عَنْ رِزقٍ ، فلمَّا رأى الطَّائرَ المسكينَ صاده وأكَلَهُ ..

وهكذا ماتَ طَائرُ الماءِ في وَطَنِه ، ولَم يُغْنِ عَنْه الحَذَرُ عِندَ انقضاءِ الأجَلِ .. فَسُبْحَانَ منْ له الدوَامُ ..

(تَمَّتْ)

رقم الإيداع : ١٨٨٧٦ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولي : X ـ ٠٠٤ ـ ٣٧٨ ـ ٩٧٧